على هامش الحياة

obeikan.com

obeikan.com

على هامش الحياة

مجموعة قصصية

مجدي محروس

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلي صديقي الذي لم أره ..

الأستاذ/ خالد مرون ..

من المغرب الشقيق .

obeikan.com

obeikan.com

دماء الموتي

بجسد نحيل ، وقدمين ثقيلتين ، أخذ يجرهما جرا في شوارع القاهرة ، في ذلك اليوم القائظ الشديد الحرارة ، من أيام أغسطس ، وعلي وجهه النحيل المليء بالتجاعيد ، التي حفرها الزمن ، كل بؤس الدنيا ومرارتها ..

أخذ يتنقل من شارع إلي شارع ؛ بحثا عن عمل ، وأصحاب المحلات لا يكلفون أنفسهم ، مشقة الرد عليه فقط يهزون رؤوسهم في لا مبالاة ، وهم يتطلعون لعينيه الزائغتين ، وملابسه الرثة التي تفوح منها رائحة العرق.

كصورة مجسدة لليأس ، أخذ يواصل طريقه ، وهو يشعر بسخونة الأرض تلهب قدميه ، وقد تسللت من كعب حذائه الممزق ، فبدا وكأنه يسير حافيا علي

obeikan.com

الأرض الملتهبـــــــة ، وقـــــــت الظهيـــــــرة ..
أمام عينيه الغائرتين الشاحبتين ، تتراقص صور شتي ..
صورة الحجرة التي يعيش فيها مع زوجته وأولاده، وقد خلـــت مـــن كـــل شـــيء يمكـــن بيعـــه..
صورة زوجته التي تصرخ في وجهه باستمرار ، وهي تندب الحظ الذي أوقعها في هذا الزوج الذي لا يستطيع توفير الخبز لأسرته ...
صورة أطفاله الصغار الذين يبكون جوعا ، وهم لا يجدون ما يسدون به رمقهم ..
صورة صاحب البيت الذي يهدده بالطرد ، بعد أن عجز عن دفع الإيجار ..
علي شفتيه الجافتين ، يتراقص شبح ابتسامة مريرة ، وهو يتذكر عمره الذي قضاه يعمل في المطاعم والمقاهي - يوم أن كان يتمتع بصحته - لولا ذلك المرض اللعين ، الذي سلبه صحته ، وجعل أصحاب العمل يطردونه شر طردة و ...
.. استيقظ من شروده ، علي صرير عجلات عربة مسرعة ، تتفاداه بصعوبة ، وهو يعبر ذلك الطريق ..
واصل طريقه بأقدام متثاقلة ، غير عابئ بسباب صاحب العربة ..
عن بعد يلمح طابورا طويلا ، يقف في آخر الشارع ..

دبّ الأمـل بداخلـه ، وانـتعش وهـو يقتـرب مـن ذلـك الطـابور ، ظنـا منـه أن أحـد المحسنين يـوزع الصـدقات علي الفقراء ..
تعلقت عيناه بالطابور ، وفيهما ألف تساؤل وتساؤل ..
شقّ طريقـه علـي الأرض الملتهبـة ، التـي تلسـع قدميـه ، وراح يسأل الواقفين بالطابور في أمل وترقب :
- ماذا يوزعون ؟
تطلعت إليه الوجوه الشاحبة الممتقعة ، ولم يرد أحدهم ..
بصوت جاف متحشرج كرر سؤاله ، وجاءه الرد علـي لسان عجوز ، كان ذا ملامح تشبهه فبدا وكأنه ينظـر فـي المرآه :
- إنهم لا يوزعون شيئا ..
هذا بنك للدم ..
ونحن نبيع دماءنا .
تطلع إليه ذاهلا وهو يردد :
- ماذا ؟! ...
تبيعون دماءكم ؟!
تطلـع إليـه العجـوز ، ثـم نظـر للناحيـة الأخـرى ، وهـو يمسـح بكـم قميصـه عرقـه الغزيـر ، الـذي يسـيل علـي وجهه، ولم يرد ..
مرة أخري تتراقص أمام وجهه صور متعددة ..
الزوجة التي تندب الحظ غير راضية ..
الأطفال الذين يبكون جوعا ..

صاحب البيت الذي يهدد ويتوعد ..
يهتف بداخله في مرارة :
- وماذا في ذلك ؟
وهل نملك شيئا غير دمائنا ؟
نعم ..
نعم .. نبيع دماءنا .
وقف مكانه في الطابور ، الذي بدا وكأنه لا يتحرك ، وهو يحلم باللحظة ، التي يصل فيها للمسئول ، ويعطيه دماءه ، ويأخذ قروشا قليلة يشتري بها خبزا لزوجته ، وأطفاله ..
بكل أمل راح يمد ذراعه أمام عيني المسئول ، وهو يرفع كم قميصه الممزق ؛ ليعري ذراعه ..
المسئول يتطلع لجسده النحيل .. ووجهه الشاحب ..وعروقه البارزة ..
ثم يهز رأسه في أسف ، ويبعده جانبا ؛ معلنا رفضه لدمائه ..
بصوت متحشرج ، يهتف في ضراعة ، وهو يمد ذراعه مرة أخري في وجه المسئول :
- أرجوك ..
المسئول يبعده في قسوة ، وهو يتناول ذراع رجل آخر يليه ..
تطلع إلي المسئول ، وهو يرمي ذراعه بجوار جسده ..
وتطلع إلي الوجوه الشاحبة ، التي تحاصره ..

وفي عينيه تكونت نظرة .. نظرة فيها كل البؤس ..
والألم ..
والمرارة ..
ثم ..
ثم مضي في طريقه!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الفقراء لا يعبرون الطريق

استيقظت من نومي فزعا ، وقد تسللت أشعة الشمس عبر زجاج النافذة ، وسقطت علي وجهي في قسوة ، انتفضت في فراشي ، وأنا أهتف متطلعا للمنبه الرابض، بجوار الفراش كالجثة الهامدة :

- تبا لهذا المنبه اللعين .. دائما يؤخرني عن عملي.

في لحظات ، كنتُ قد ارتديت ملابسي ، ورحت أقطع ذلك الشارع الفرعي الطويل – الذي يزدان من جانبيه بالمقابر التي يقطنها الأحياء – والذي يقودني للشارع الرئيسي ذي الاتجاهين ، حيث محطة الأتوبيس ، التي أركب منها كل يوم لعملي.

عن بعد لاح أمامي الشارع الرئيسي .. السيارات تنطلق في تتابع كالريح .. بأنفاس متلاحقة ، وصلت للشارع الرئيسي ..

أتابع السيارات التي تنطلق في تتابع كالريح ، وأنا أود عبور الاتجاه الآخر حيث المحطة ..

صورة صاحب العمل الضخم ، تتراقص أمام عيني ، وهو يؤنبني ويتوعدني لتأخري عن العمل ..
ما زلتُ أبحث عن فرصة – ولو ضعيفة – لعبور الطريق ..
السيارات ما زالت تنطلق وتنطلق ..
علي الاتجاه الآخر ، وصل الأتوبيس – الذي يحملني يوميا إلي عملي - إلي المحطة ..
الناس يتدافعون ، وهم يصعدون إليه ، أو ينزلون منه ..
أطلق سائق الأتوبيس نفيره القوي معلنا استعداده للتحرك ..
أمام عيني تظهر فرصة ضعيفة لعبور الطريق ..
أتطلع للأتوبيس الذي يهم بالتحرك ..
واتخذت القرار و ...
.. وقررتُ عبور الطريق ..
وفجأة ..
يصك أذني صرير عجلات عربة حمراء فارهة ، علي بعد سنتيمترات قليلة من جسدي ..
من خلف زجاج السيارة الفارهة ، ألمح شقراء فاتنة ، تنظر لي في غضب ..
أتطلع للأتوبيس ، الذي شرع في مغادرة المحطة ..
صورة صاحب العمل بجسده الضخم ، تتراقص أمام عيني مرة أخري ..
أنظر إليها في رجاء كي تتركني أعبر أولا ..

تنظر إليّ في لا مبالاة وسخرية ..
تبادلنا النظرات ..
رجاء ..
سخرية ...
رجاء ..
سخرية ...
هتفتُ في ألم ، بصوت لم يتعد حلقي :
- أنا أولا .
هتفت بكل سخرية ، ولا مبالاة :
- أنا أولا .
وعبرتُ أنا ..
وعبرت هي ..
وتلون الرصيف باللون الأحمر الداكن!!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

كي يكون ذئبا

شققتُ طريقي وسط الزحام ، إلي ذلك الشارع الجانبي المتفرع من شارع الأزهر ، في وسط البلد ، وولجتُ بقدمي ذلك المطعم ، الذي أتناولُ فيه وجبة الغداء يوميا ، منذ أكثر من عشر سنوات .. علي مائدتي المفضلة في ركن المحل جلستُ ، واستقبلني " شعبان " عامل المطعم ، وعلي شفتيه ابتسامة واسعة زائفة ..

وقد راح ينظف المائدة ، مرددا عبارات المجاملة المعروفة ، في انتظار ما سيحصل عليه من بقشيش.

كان شابا علي مشارف الخامسة والعشرين من عمره ، ولكن الزمن حفر علي وجهه تجاعيد الفقر، التي قفزت بعمره عشر سنوات علي الأقل.

obeikan.com

وضـع أمـامي صـحاف الطعـام ، وعلـي شـفتيه نفـس الابتسامة الزائفة ...
وفجأة ..
انمحـت تلـك الابتسـامة مـن فـوق شـفتي شـعبان ، وحـلّ محلها غضب شديد ، وهو يصرخ :
- أين كنتَ ؟
ألم تنظف المحل حتي الآن ؟
تطلعت ذاهلا إلي ملامحه التي تبدلت في سرعة ، وأنا أسأل نفسي ذاهلا :
- تُري .. لمن يوجه صرخته ؟
ومن باب المحل ، ظهر طفل صغير ، لا يتعدى عمره السبع سنوات ، وقد وقف يرتعد بين يدي شعبان ، وهو يقول :
- وهـل أنظفـه وحـدي .. لقـد قـال صـاحب المحـل ...
ولم يكمل الطفل الصغير عبارتـه ، حيث قطعتها صـفعة قويـة ، لهـا دوي شـديد علـي وجهـه ، فسـقط أرضـا ، وشـعبان يقـول بصـوت عميـق كفحـيح الأفعـى:
- ستنفذ ما آمرك به وإلا .....
ولـم يكمـل شـعبان عبارتـه ، وقد وصـل مضـمونها إلـي الطفل ، الذي نهض من سقطته ..
وشرع في تنظيف المحل.. وفي عينيه تكونت نظرة ..
نعم ..
نظرة ألم هائلة ..

تحمل كل حزن الدنيا ..
ومرارتها.
تراجعتُ بظهري للوراء ، وأنا أتطلع للطفل الصغير ، وعدتُ بذاكرتي للماضي ..
إلي ما يقرب من خمسة عشر عاما مضت ..
إلي تلك اللحظة التي ولجت فيها قدمي أرض القاهرة ..
وقد جئتُ أبحثُ عن عمل يساعدني علي إتمام دراستي الجامعية ..
تلك اللحظة التي كنتُ فيها حملا وديعا ..
وطاف بذاكرتي كل ما عانيته وقاسيته علي يد من هم أقدم مني في العمل ...
تذكرتُ دموعي التي سفحتها عيناي ليلا ولا يوجد شاهد عليها غير وسادتي ..
تذكرت كم مرة أقسمت بيني وبين نفسي أنني سأترك العمل ..
وأنني سأعود لقريتي ولتذهب الدراسة للجحيم ..
لولا ذلك العائد المادي ، الذي كنتُ أحصل عليه من رواد المحل ، غير مرتبي ، والذي كان يتزايد مع مرور الأيام ..
عند ذلك صمدتُ ..
وصبرتُ ..
وتحملتُ ..

obeikan.com

وشـــيئا فشـــيئا وقفـــتُ علـــي قـــدمين ثـــابتتين ..
وازدادت الأرض صلابة من تحتي ..
ونشبت لي أظافر .
فمخالب ..
و .. أصبحتُ ذئبا مرهوب الجانب ..
نعم ..
نعم ..
أصبحت ذئبا يخشاه الجميع ويعمل له ألف حساب ...
ألف ألف حساب ..
و ....
استيقظتُ من شرودي علي صدي صفعة قوية هوت علي وجه الصبي مرة أخري وصوت شعبان يصرخ :
- قلتُ لكَ .. قم بتنظيف المحل مرة ثانية .
ومرة أخري ..
يسقط الطفل أرضا ..
ينهض في ذل واستكانة ..
تتضاعف في عينيه نظرة الألم مرات ومرات ..
في تلك اللحظة ..
بكي قلبي بدموع من دم ورحتُ أصرخ بأعماقي وأنا أتطلع للصبي الصغير :
- لا بد أن يكون ذئبا .
ودون أن أدري هـــل انتهيـــتُ مـــن طعـــامي أم لا ..
نهضت واقفا ..

مـــددتُ يـــدي بجيبـــي وأخرجـــتُ ورقـــة ماليـــة ..
ووضعتها في يد الصبي الصغير ..
الذي نظر للورقة المالية ..
ثم نظر إليّ ..
وقد زالت كل علامات الألم والحزن ..
وحلـــت محلهـــا ابتســـامة شـــكر و ... امتنـــان ..
عندئذ ..
غادرتُ المحل ..
وأنا أشعرُ بالفخر ..
نعم ..
كل الفخر ..
لأننـــي وضـــعتُ اللبنـــة الأولـــي لـــذلك الصـــبي ..
كي يصمد و ..
يصبر و ..
يتحمل و ...
لتنمو أظافره ..
وتتحول لمخالب ..
و ..... يكون ذئبا !

❊ ❊ ❊

obeikan.com

أحلام الفجر الكاذب

بكل حيوية الشباب ، أخذ يقفز درجات السلم المتآكل ، في ذلك البيت القديم ، كل خلجة من خلجاته تنطق بالفرحة والسعادة ، وهو يحمل بين يديه الشهادة ، التي طالما حلم بالحصول عليها ..
أمام عينيه تراقصت صورة أمه ، وقد انحني ظهرها ، وضاع عمرها علي ماكينة الحياكة ، علي أمل أن يحصل هو علي الشهادة الكبيرة ، ويتخرج ..
هتف بأعماقه ، وهو يقفز آخر درجتين علي السلم :
- لقد انتهي كل شيء يا أمي ..
انتهي عصر الحزن والشقاء ..

obeikan.com

نعم ..
نعم .. انتهي يا أمي ..
سنقذف بماكينة الحياكة من النافذة ..
ولن تعملى بعد اليوم ..
أنا الذي سيعمل ..
نعم يا أمي ..
ها هو الأمل قد تحقق ..
وحصلت علي الشهادة ..
الشهادة يا أمي .
دفع باب الشقة ، فوجد بمواجهته جسدا ضعيفا ، حفر عليه الزمن أعواما تعدت الستين ..
بأعلي الجسد عينان غائرتان ، يلوح فيهما ألف تساؤل وتساؤل ..
لوّح بالشهادة هاتفا بفرحة ، وهو يحتوي ذلك الجسد الضعيف بين ذراعيه :
- نجحت يا أمي .. نجحت .
انطلقت الزغاريد .
انتعش الأمل في القلوب ..
لمع بريق السعادة في العيون ..
بعد أيام ..
كان بالشارع ..
وبيده مسوغات التعيين .
أخذ يسير ..

ويسير ..
أيام وشهور وسنين مضت ..
وهو ما زال يسير ويسير ..
مات الأمل ..
اختفي البريق ..
ازدادت العينان الغائرتان جحوظا ..
ازداد الظهر انحناء والجسد نحولا ..
صوت ماكينة الحياكة بُحّ من الصراخ ..
وهو ما زال يسير ..
ويسير ..
وبيده مسوغات التعيين!!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

وفاء علي مقبرة الموت

من بعيد لاح القطار ..
نعم .. نعم بالقطع إنه قطار .. فها هو نفيره القوي يأتي من بعيد .. يا إلهي ..
صوت التليفون المزعج يتردد في أذني بكل قسوة ... بكل تثاقل وضيق أمد يدي للسماعة .. أشعر بيدي ثقيلة لا تتحرك ..
- ألو
أهلا عم " بيومي " ..... ايـــــــه ؟!
مستحيل .... مستحيل
نعم مستحيل ..
مستحيل أن يموت أبي الآن ...

obeikan.com

لم يحن موعد موته بعد ..
لأني لم أبر بقسمي بعد ..
القسم الذي أخذته علي نفسي منذ ...
منذ عشرين عاما ..
لا ..
إنها ثلاث وعشرون عاما وسبعة أشهر وستة عشر يوما بالتمام والكمال ..
فصرخات الطفل ذي السبع سنوات ما زالت تتردد في أذني ...
تدوي في أعماقي ...
وكان ما حدث ماثلا أمام عيني كأنه بالأمس ..
- أهلا يا " رفعت " اتفضل .
بكل تكبر وخيلاء يدخل " رفعت " وهو يترفل في عباءته السوداء ، يهتف أبي - مرة أخري - مُرَحبًا :
- اتفضل يا رفعت .. الشاي يا ولاد .. وجهزوا العشا .
يعدل " رفعت "من كُم جلبابه الغالي ، وهو يمد يده في جيبه ويلتقط مجموعة أوراق يفردها أمام أبي قائلا بصوت جهوري غليظ :
- امضي يا " عبد الرحيم " .
- أمضي ؟ ! أمضي علي إيه يا " رفعت " ؟
- ألم تقترض مني عشرة آلاف جنيه للعملية ؟
- عاوز وصل أمانة علي أخوك يا " رفعت "؟!

- لا .. لا .. وصل أمانة إيه ؟ دا أنت أخويا يا " عبد الرحيم " .
- وما هذه الأوراق إذا ؟
- تنازل منك عن الأرض والبيت الكبير .
- إيه الكلام دا يا " رفعت " ؟!
- امضي يا " عبد الرحيم ".
- أنت نسيت أنا مين يا " رفعت " ؟!
نسيت إن أنا في مقام أبوك ؟
نسيت إن أنا اللي مربيك ؟
أنت أكيد مجنون .. مجنون ...
هبَّ " رفعت " من مكانه صارخا وهو يمسك بتلابيب " عبد الرحيم " :
- ها تمضي يا " عبد الرحيم " وإلا ...
- وإلا إيه يا " رفعت "... ها تضرب أخوك الكبير ؟!
- إحنا مش إخوات .
- دا الأب واحد .
- لكن الأم مش واحدة .
- عشان كده نبقي مش إخوات ؟!
- أنا مقبلشي أكون أخ لواحد أمه كانت بياعة فجل و....
تهوي كف " عبد الرحيم " الواهنة المرتعشة علي وجه " رفعت " وهو يصرخ :
- اخرس يا ندل .

" رفعت " يتلقى الصفعة وقد احمرّ وجهه وألقي عباءته أرضا وانقضّ علي أخيه الكبير ضربا وركلا ..
يقع " عبد الرحيم " أرضا ..
الدماء تنزف من كل أجزاء جسده ...
ينظر إلي " رفعت " ودموع القهر في عينيه ..
ينظر إلي ابنه ذي السبع سنوات الذي يكاد يموت من الصراخ وهو يتعلق بقدم " رفعت " الذي يركله بقدمه بعيدا ...
ينظر إلي بناته الصغيرة التي تولاها الرعب والفزع ...
مرة أخري يلتقط " رفعت " الأوراق وهو يرفع " عبد الرحيم " من الأرض ويضعها أمامه صارخا :
- امضي .
و...
مضي " عبد الرحيم " التنازل عن الأرض والبيت الكبير .
" رفعت " يتطلع لتوقيع أخيه علي الأوراق في انتصار وقد لمعت عيناه في جنون ويلتقط عباءته وينطلق خارجا كما دخل في تكبر وخيلاء .
أكثر من عشرين عاما مضت ولم أنس ما حدث قط ..
يا إلهي ..
تبا لهذا القطار اللعين ...
أشعر وكأنه لا يتحرك أبد ...
ولكن .. أخيرا ..

ها هي قريتي تبدو من بعيد ..
ها هي حقولها وأشجارها ..
ها هي المئذنة العالية ..
ولكن .. ما هذا ؟
أشعر بأن قدمي ثقيلة جدا ..
أشعر وكأنها لن تقوي علي حملي ...
أبذل مجهودا خارقا لأتحرك ..
آلاف الأصابع أشارت علي طريق المقابر ..
آلاف الألسنة هتفت بأسي وحزن :
- اسرع .. موكب الجنازة في الطريق .
مرة أخري تتراقص أمام عيني صورة الطفل ذي السبع سنوات وهو يصرخ ..
صرخاته تتردد في أذني ..
تدوي في أعماقي ..
و .....
- " انتظروا " .
هكذا صرخت في الموكب بصوت لم يتعد حلقي أو هكذا تخيلت أني أصرخ ..
ولكن العجيب أن الجميع توقفوا ونظروا إليّ ..
وتناهت إلي مسامعي أصوات وضجيج ودموع :
- دا " حسن " الابن الوحيد للمرحوم .
- ربنا يصبره .
- لكن إيه اللي أخره ؟

obeikan.com

- وحدووووووووه .
لحقت بهم تسبقني أنفاسي المتلاحقة ..
أفسحَ لي الجميعُ وأنا أخترق الصفوف ...
وعلي الصندوق الخشبي – حيث يرقد أبي – وضعت يدي ..
ولم تذرف عيناي دمعة واحدة وأنا أتفحص الوجوه وأبحث عنه ..
عن " رفعت " ..
كان ما زال مترفلا في عباءته السوداء وقد تصدر الموكب الجنائزي وراح يتحسس شاربه الرفيع وهو يتصنع الحزن ..
لمحته بطرف عيني – التي لم تذرف دمعة – ولم أنطق..
أمام عينيّ تتراقص صورة الطفل ذي السبع سنوات وهو يبكي ..
ولكني لن أبكي الآن ..
لا بد وأن أبر بقسمي أولا ..
وهناك ..
عند المقابر انقسم ذلك الحشد الهائل إلي صفين ..
اخترقتُ الصفين وراء الصندوق الذي يحمل جسد أبي.
تطلعت إلي المقبرة و ..
وقد فُتح بابها كفكي وحش مفترس ..
استعد البعض كي يضعوا أبي في مثواه الأخير ..

وهنا ..
انطلقت صرختي ..
صرخة قوية تردد صداها في أرجاء المكان ..
صرخة ألم رددها كل شيء من حولي..
الطيور ..
الأشجار ..
المقابر ..
- انتظروا .
تطلع إليّ الجميع في ذهول .. ترددت صرختي مرة أخري وأنا أنظر إلي رفعت :
- تعال .. لقد أوصاني أبي بألا يدفنه أحدُ غيرك .
تقدم " رفعت " في خيلاء مخترقا الصفوف وهو يعدل عباءته كعادته وقبل أن تلمس يداه الصندوق صرخت في وجهه وسط ذهول الجميع :
- فاكر يا " رفعت " ..
فاكر لما كان عندي سبع سنين وأنا متشعلق في رجلك وأنت بتضرب أبويا والدم عمال ينزل من جسمه عشان يمضي التنازل عن الأرض والبيت .
" رفعت " يتطلع إليه في ذهول ولا يرد ... الجميع ينظرون للصندوق القابع علي باب المقبرة وتصدر عنهم همهمات كلها غضب وثورة :
- هذا ليس وقت الحساب .
- ادفن أخوك يا " رفعت " .

- كرامة الميت دفنه .
- ادفن أبوك يا " حسن " .
نفس الصرخة انطلقت من بين شفتيّ قوية هادرة :
- لا .....
لا بد أن يدفع " رفعت " الثمن أولا ....
لا بد وأن أبر بقسمي وقبل أن يواري أبي تحت التراب.
الهرج والمرج يسود أمام المقبرة ..
غضب الناس يتزايد ..
الهمهمات تتحول لأصوات عالية رافضة غاضبة ....
أشعة الشمس تزيد حدتها وتقسو في حرارتها وكأنها تشاركهم الغضب ...
العرق يسيل علي الجباه والأجساد في غزارة ....
ويبدأ البعض في استخدام القوة في دفن أبي ..
وفجأة ..
يبرز فوق أسطح المقابر ...
عشرة رجال أقوياء أشداء ..
بيد كل منهم عصا غليظة ..
كانت ملامحهم تبدو مألوفة ولكن ..
ولكن لا أذكر أني رأيتهم من قبل ..
هتف الرجال العشرة بصوت قوي وعميق في آن واحد وهم يلوحون بعصيهم الغليظة :
- " لا بد وأن يبرَّ الفتي بقسمه " .

الجموع تتطلع للرجال العشرة في خوف ولم يحركوا ساكنا ..
" رفعت " قد التصق بجدار المقبرة في خوف ورعب تطلعتُ للرجال في امتنان وانقضضتُ علي " رفعت " في غضب ..
وانهالت صفعاتي عليه ..
وقعت عباءته تحت الأقدام ..
سالت دماؤه ..
من جيبي أخرجت ورقة فردتها أمام عينيه وناولته قلما و...
بأصابع مرتعشة تناول رفعت القلم ووقع تنازلا عن الأرض والبيت الكبير .
من بين شفتي انطلقت صرخة منتشية ظافرة :
- لا أريد أن أراك هنا ... هيا .
انطلق " رفعت " كالريح مخترقا الصفوف غير مصدق أنه ما زال علي قيد الحياة ..
وتطلعت للرجال العشرة ..
وكانت المفاجأة ..
لقد اختفوا ..
نعم .. نعم
اختفوا تماما ..
وهنا ..
نظرت لجسد أبي وانهمر من عينيّ طوفان من الدموع..

الكلمات تخرج من حلقي بصوت مرتعش وهو يدخل لمثواه الأخير :
- استرح ...
استرح يا أبي ..
لقد أخذت حقك ... لقد أخذت حقك ..
لقد أخذت حقـ ...
و .....
- " استيقظ يا " حسن " ... استيقظ ...مفاجأة " .
فتحت عينيّ بصعوبة واعتراني الذهول :
- ما هذا ...
أين أنا ؟
وما هذه الحجرة ؟
وأين المقبرة ؟
أين الـ ...
- " استيقظ يا " حسن " ... استيقظ ...مفاجأة " .
- من ؟ " فاطمة " ؟ !
من أتي بك عند المقبرة ؟ و .....
رباه !!
ما هذا ؟
إنني لم أغادر فراشي قط ..
إنه كابوس ...
كابوس ...
- ماذا تقول يا " حسن " ؟ أقول لك مفاجأة .

obeikan.com

- مفاجأة ؟ !
- نعم يا " حسن " ..
لقد أصاب عمك " رفعت " عيار طائش ومات صباح اليوم وعمك كما تعرف لم ينجب وكل شيء الأرض والبيت أصبح ملكك مرة أخري .
- مات ؟ !
والأرض ملكي !!
رباه !! ما هذا ؟
إنه الكابوس ..
لا ...
بل الحلم ..
حلم الوفاء و ...
علي مقبرة الموت .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

امرأة ليست للبيع

بملامح شاحبة ، وأقدام مرتعشة ، وعينين شاخصتين مجهدتين ، أخذت تتطلع إلي مياه نهر النيل ، في ذلك الوقت المبكر من الصباح ، وتعلقت عيناها بمياه النهر ، التي تتموج أمام عينيها ، في قوة ، وغموض مخيفين ..
بأصابع مرتعشة ، قبضت علي حاجز السور الحديدي لكوبري قصر النيل ، حيث تقف ..
أمام عينيها ، التي لمعت فيهما دموع القهر ، والألم ، تراقصت صور شتي ..
صورة زوجها الذي خطفه الموت ، ولم يمض علي زواجهما سوي سبع سنوات ..

obeikan.com

سبع سنوات لم تنعم فيهم بالسعادة إلا ثلاث فقط ، وما تبقي قضته مع زوجها في التنقل بين المستشفيات ، والأدوية ، والألم ، والأنين ..
ورحل زوجها بعد أن ترك لها أجمل ابتسامه في حياتها..
ابنها .... " أيمن " ..
زهرة جميلة بريئة في الخامسة من عمره الآن ..
ولكن ها هو القدر، يخطط لخطف ابنها الذي أصابه المرض ..
نعم .. أصيب ابنها بمرض ، ويحتاج لإجراء عملية جراحية خطيرة باهظة التكاليف ..
بعينين دامعتين ، تذكرت كم من ليالِ ، طويلة ، سوداء مرت عليها ، وهي تحتضن ابنها في خوف ورعب من أن يتخطفه الموت كما فعل بأبيه ..
وتذكرت كيف كان التفكير والقلق سيقتلانها ، وهي لا تدري كيف ستعيش هي وابنها بلا معاش حيث مات زوجها دون أن تؤمن عليه جهة العمل ..
ولا كيف ستدبر تكاليف عملية ابنها ، وهي تخشي أن تردد الرقم بينها وبين نفسها ، حتي في عالم الخيال ..
وتذكرت ذلك اليوم ، الذي جاء فيه أخوها " شوقي " قائلا بفرح ، وعجز ، وألم في آن واحد :
- وجدت لكِ عملا يا " سعاد " ... عاملة بمحل ملابس شهير ، له فروع عديدة .

تذكرت كيف احتوت ابنها " أيمن " بين ذراعيها في ذلك اليوم ، وراحت تردد من بين دموعها :
- أخيرا يا " أيمن " وجدت عملا ..
ولن نحتاج لأحد ..
وسأعالجك ..
وستشفي بإذن الله ..
وسنتخلص من ذلك الندل " رضوان " صاحب العمارة ، الذي حاول مرات ومرات أن يأخذ جسدي ثمنا للإيجار المتأخر ..
وحين عجز عرض عليّ الزواج سرا مقابل أن يكتب لي الشقة ، التي نقيم فيها بالإضافة إلي وعد منه أنه سيتحمل نفقات علاجك ..
امرأة غيري كانت ستفرح بهذا العرض ..
ولكنني شعرت أن ما عرضه " رضوان " صفقة ..
نعم صفقة ..
صفقة لشراء جسدي ..
نعم .. شراء جسدي يا أيمن ..
وأنا لست للبيع .
احتوت ابنها أكثر وأكثر ، وهي تردد من بين دموعها :
- هل تسمع يا " أيمن " ..
أمك ليست للبيع ... ليست للبيع .
وتذكرت – أيضا – الارتباك ، الذي أصابها أمام نظرات " عزمي حافظ " صاحب محل الملابس ، وهو

يتطلع إليها ، وقد راح يتفحص جسدها بنظرات جريئة وقحة ، وهو يردد :
- العمل يبدأ في السادسة مساءً حتي منتصف الليل والمرتب الأساسي تسعمائة جنيه ..
وصمت قليلا ، ونظراته تخترق جسدها ، ثم استطرد :
- لكن بالحوافز والمكافآت المرتب يتعدى الألفين .
وعلي الرغم من أنها لم تشعر بالراحة قط تجاه هذا الرجل الذئب ، إلا أنها وافقت من أجل ابنها ..
ولم يمر يومان عليها في العمل ، إلا وكشفَ الرجل عن وجهه القبيح ، وحاول أن يتحرش بها ، وحين وجد منها صدا ، وغضبا ، عرض عليها نفس عرض رضوان .. الزواج سرا ، علاج أيمن ، يكتب لها محلا في مصر الجديدة ..
ومرة أخري شعرت بنفس الإحساس ..
إنها صفقة لشراء جسدها ..
ومرة أخري رددت في أعماقها :
- لستُ للبيع .
في تلك اللحظة ، رن الهاتف ، وكان " شوقي " ، الذي هتف بكلمة واحدة ، قضت علي ما تبقي داخلها من حياة :
- مات " أيمن ".
تلقت " سعاد " الصدمة في برود عجيب ، وهي تعيد سماعة الهاتف لـ " عزمي حافظ " ، الذي كان ما زال

يتطلع لجسدها في شراهة كما يتطلع الذئب لفريسته ، منتظرا ردها علي العرض ، فلاحت علي شفتيها ابتسامة ساخرة وهي تقول في جمود :
- هذا المكان للعمل يا " عزمي " ، ولا يناسب هذا الكلام ..
أريد أن أراك غدا لتعرف ردي .
تطلع لجسدها مرة أخري غير مصدق ، وقال لاهثا :
- أين ؟ ومتي ؟
بنفس اللهجة الجامدة الباردة ، أجابت :
- غدا في السادسة صباحا علي كوبري قصر النيل .
... كل تلك الصور ، طافت أمام عيني " سعاد " ، وهي تتطلع لمياه نهر النيل في ذلك الصباح الباكر وأصابعها المرتعشة ، تقبض علي الحاجز الحديدي ، في قوة في نفس اللحظة ، التي التقطت أذناها صرير عجلات سيارتين ، تتوقفان خلفها ، وهبط من واحدة " رضوان " ، وقد حشر جسده ، داخل حُلة فاخرة ، ومن الثانية هبط " عزمي حافظ " ، وهو يطلق صفيرا منغوما من بين شفتيه ..
تطلعت إليهما " سعاد " ..
وأصابعها ما زالت قابضة علي الحاجز الحديدي ..
وقالت بجمود لـ " عزمي " :
- لا داعي للدهشة ..

هذا المعلم " رضوان " صاحب الشقة ، التي أسكن فيها ، حاول معي كثيرا ، وعندما فشل ، عرض عليّ الزواج سرا والشقة يكتبها باسمي وعلاج " أيمن ".
وقبل أن يتفوه عزمي ، وسط نظرات " رضوان " الذاهلة ، استطردت سعاد مشيرة إلي عزمي ، قائلة :
- وهذا " عزمي حافظ " ، صاحب محلات الملابس الشهير ..
حاول معي أيضا ، ثم عرض الزواج سرا ، ومحلا بمصر الجديدة ، وعلاج " أيمن ".
وفجأة انهمر من عينيها شلال من الدموع وهي تصرخ في هستيريا :
- يا لقلوبكما الرحيمة !
كلاكما فكر في علاج " أيمن " ..
أيمن الذي مات ..
هل تسمعون ؟
مات ... نعم .. مات وكل منكما ما زال يسأل نفسه ..
كم يساوي جسدي ..
شقة للسكن ، ولا محلا بمصر الجديدة ..
ولكن أخبراني الآن ..
كم تساوي الرحمة عندكم ..
كم ؟ !
ربّت " عزمي " علي كتفها ، قائلا :

- اهدئي يا " سعاد " ... وسوف أعوضك عن كل شيء و ..
قاطعه " رضوان " ، صارخا في خشونة :
- ابتعد عنها .. إنها لي .. لي أنا .
واشتبك الاثنان في صراع بالأيدي ، وكل منهما يريد أن يفوز بالغنيمة ، في حين كانت هي تمد يدها داخل حقيبتها ، وتستل المسدس القديم ، الذي ورثته عن والدها، وصوبته إليهما ، وهي تصرخ في وجهيهما :
- كفي .
توقف الاثنان ، وراحا يتطلعان للمسدس في رعب ، في حين استطردت هي :
- قبل أن تتصارعا من أجلي يجب أن تعلما شيئا هاما ..
أنني لستُ للبيع .. هل تسمعان .. لستُ للبيع .
وفجأة ..
أفرغت رصاص مسدسها في جسديهما ، وهي تصرخ في جنون ، وسط ذهول المارة ، الذين تجمعوا في هذا الوقت من الصباح :
- لستُ للبيع .. لستُ للبيع .
وسقط " عزمي " ، و" رضوان " ، تحت قدميها صرعي ، ومن حولهما بحيرة من الدماء ..
أما هي فقد فعلت أغرب شيء يمكن تخيله ، وسط ذهول ، وصرخات المارة ..

قبضت علي الحاجز الحديدي أكثر وأكثر ..
وارتفعت بجسدها فوق الحاجز وهي تتطلع لمياه النهر و ..
فجأة ..
ألقت بنفسها في مياه النهر ..
نهر النيل ..
وفي تلك اللحظة كانت سماء القاهرة تردد الصرخة ..
صـرخة " سـعاد عبـد اللطيـف " وهـي تهتـف قبـل أن يغوص جسدها في مياه النهر ..
- لا ..... لستُ للبيع .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

وضاع الُحلم

١

علـي الـرغم مـن أن أعمـاقي كانـت تشـتعل بالحمـاس ؛ لممارسة عملي الجديد في تلك القرية النائية ، إلا أنني لم أتوقع أن يأتي العمل بهذه السرعة ..
ففجأة ..
وفـي صـباح أحـد الأيـام ، اسـتيقظت القريـة كلهـا علـي صراخ وعويل ، يملأ أرجائها ..
الأصوات تهتف في همس :
- " صلاح بن الشيخ عواد " اتقتل يا أهل البلد .
وسـرعان مـا انقلبـت القريـة كلهـا رأسـا علـي عقـب ، وأصبح مقتل " صـلاح بـن الشيخ عواد " ، هو حديث أهل البلدة كلها ..

obeikan.com

" يا له من خبر يستقبله المرء في الصباح "
هكذا هتفتُ ، وأنا أنهضُ من فراشي ؛ لأباشر عملي الجديد ..
و .... طرقات علي الباب ، ويدخل الضابط " فتحي " وهو ويهتف :
- جريمة قتل بالقرية يا سعادة وكيل النائب العام .
تناولت آخر رشفة من فنجان القهوة ، وهتفت وأنا أربتُ علي كتفه :
- الناس أسرع منك في توصيل الخبر يا " فتحي ".

obeikan.com

٢

عنـد دار القتيـل ، يقـابلني عمـدة القريـة وسـط خفـره ، ويقترب مني ، هاتفا بوجهه المكتظ :
- أهلا بسعادة البيه النيابة ..
والله سعادتك هذه أول جريمة منذ عشر سنوات .
تطلعتُ إليه ، في لامبالاة ورجاله يقومون بتفريق أهل البلدة ..
تقدمتُ نحو دار القتيل ..
كانت مثل معظم دور القرية مبنية من الطوب اللبن ..
هتفتُ بفتحي ، وأنا أدخل ردهة طويلة ، تقع في دار القتيل :
- هل كل شيء في مكانه يا " فتحي "؟
- نعم يا " محسن " بيه .
كانت هناك طُرقة طويلة تمتد وسط الدار ، وفي آخرها باب صغير ، يقود إلي فناء واسع به بعض أشجار الكافور ..
كانت جثة القتيل ملقاة أمام الباب الصغير علي ظهرها .
تأملتُ في ملامحه ..
كانت جثة لشاب في منتصف العشرينات ..
يرتدي جلباب أبيض أنيق ..

كان غارقا في بحيرة من الدماء تجمعت حول رأسه .. كان بالرأس شقا طوليا ، وكأنه أصيب بآلة حادة .. تحسست ملابس القتيل ، وجذب انتباهي أنها مبتلة عن آخرها بالمياه ...

- أين والد القتيل ؟

تقدم إليّ رجل - قد تجاوز الستين بعامين أو ثلاثة - من ركن الدار ، وهو يجر قدميه جرا ، وهتف من بين دموعه ، التي تنساب في صمت :

- أنا يا سعادة البيه .. أنا أبوه .

- أين كنتَ وقت الحادث ؟

- كنتُ في السوق يا بيه .. كنت رايح أبيع البقرة اللي عندي .

- تبيع البقرة !!

ليه يا شيخ " عواد " ؟

انخرط الشيخ " عواد " في البكاء وتطلع لجثة ابنه ، وقال وقد انهمرت دموعه كالشلال :

- عشان " صلاح " يا بيه ..

كان محتاج كتب عشان الكلية .

تطلعت إليه بذهول مرددا :

- تبيع البقرة عشان الكتب؟!

أهال الرجل التراب علي وجهه ، ووقع بجوار الحائط ، وقال بصوت متقطع :

- وأبيع عمري كمان يا بيه ..

و ... قبل أن ألقي السؤال التالي شقت عُباب الفضاء
صرخة ..
صرخة إنسان يحتضر ..
أو علي الأصح ..
صرخة امرأة تحتضر!!

obeikan.com

٣

هرعنا جميعا لمصدر الصرخة ، التي انطلقت من الدار المجاورة ، لدار القتيل ابن الشيخ عواد ..
دخلنا الدار ..
وكانت المفاجأة ..
فتاة شابه في مدخل الدار، مضرجة في دماءها بلا حراك ..
وعلي مقربة منها ، شاب في الثلاثين من عمره ، يرتدي جلباب الحقل ، وقد سقط علي الأرض ، والسكين مغروز في صدره حتي مقبضه ، والدماء تسيل من صدره بغزارة ..
هرعتُ إليه .. وحملته بين ذراعي ، وأنا أقول :
- تكلم .. من فعل ذلك ؟
تطلع إليّ بعينين خاليتين من كل أثر للحياة ، ولم ينطق سوي بكلمة واحدة :
- خاينة .
ثم هوي رأسه بين ذراعي ..
ألقيتُ رأسه أرضا في رفق ، ثم توجهتُ لجثة الفتاة ..
كانت غارقة في بحيرة من الدماء ..
ولكن .. جذب انتباهي بقعة دماء واحدة علي ذراع القتيلة ..

بقعة دماء جافة ..
- " فتحـي " .. أريـد فصـيلة تلـك النقطـة مـن الـدماء ، ومطابقتها بدماء القتيلة .
وغـادرتُ الموقـع، تاركـا رجـال المباحـث ، ورجـال المعمل الجنائي يكملون عملهم ، وأنا أهتفُ بأعماقي :
- يا لعجائب القدر .. ثلاث جرائم قتل في يوم واحد !
في نفس اللحظة ، التي كـان فيهـا العمدة بوجهه المكتظ الذي نافس التفاحة الناضجة في الاحمرار ، يصـرخ فـي أهالي القرية :
- روّح يا خويا إنت وهو .. إحنا ناقصين ... كفايـة اللـي احنا فيه .

٤

لم تمضِ الساعة إلا وكنتُ هناك مرة أخري ..
في دار الشيخ "عواد " ..
كان كل شيء في مكانه ..
القتيل بجوار الباب الصغير الذي يقود إلي الفناء الواسع..
الشيخ عواد ما زال في ركن الدار يبكي في صمت ..
وفي الركن الآخر كانت فتاة صغيرة لم تتعد الثامنة عشر من عمرها ..
كانت تبكي في شدة ، وهي تتطلع لجثة القتيل ..
هتف " فتحي " الذي دخل ورائي :
- دي " صابحة ".. أخت القتيل الوحيدة .
تطلعتُ إليها في رفق ، وقلتُ بصوت هادئ :
- تعالي يا شاطرة .
أقبلت الفتاة من بين دموعها ، تتعثر في ثوبها ، والخوف يملأ جوانحها ..
قلتُ لها محاولا بث الطمأنينة في نفسها :
- متخافيش .. احنا عاوزين نعرف اللي قتل أخوك عشان نعاقبه .
هتفت بحروف مرتبكة :
- لازم يا خد عقابه ..

أخويا " صلاح " كان زينة شباب البلد ..
الوحيد اللي دخل كلية الطب ..
الكل كان فرحان بيه ، وبيناديه بالدكتور " صلاح "...
لولا هي عا .....
و ....
- " صابحة " .
صرخة هادرة أطلقها الشيخ " عواد "، وهو ينظر لابنته في غضب ، فصمتت الفتاة ، وقد تولاها الذعر وراحت تبكي مرة أخري ، وهي تتطلع لجثة أخيها ..
جلستُ أمامها ، وربتُ علي كتفها ، وأنا أهتف بهدوء :
- تكلمي يا " صابحة ".. متخافيش .. هي مين ؟
ولكن ما من مجيب ..
تطلعتُ للشيخ " عواد " ، وقلتُ في صرامة :
- ليه يا شيخ " عواد " ... ليه ؟ هو مش ابنك ؟
تمزق قلب الرجل ، وهو يهتف من بين دموعه :
- ابني يا بيه .. ابني .. وأغلي من روحي كمان .
- طيب اتكلم يا شيخ " عواد " .. صابحة تقصد مين ؟
- معرفش يا بيه .. معرفش .
تطلعتُ إليه لحظات ، ثم تركته وغادرتُ المكان !

٥

داخل مكتبي ليلا ، رحتُ أطالع تحريات المباحث ، وتقرير الطب الشرعي ..
والسيجارة تحترق بين أصابعي ..
القتيل " صلاح عواد جمعة " ، طالب بكلية الطب ، أربعة وعشرون عاما ..
القتيلة " عايدة عبد الواحد سليمان " ، سبعة وعشرون عاما ، متزوجة من " إبراهيم أبو حديد " ، فلاح ، ثلاثون عاما و ....
ألقيت بالأوراق جانبا ، وعقلي يكاد يُجن من التفكير ..
ثلاث جرائم قتل ، في يوم واحد ، ومكان واحد ..
حتما هناك علاقة بين الجرائم الثلاث ..
أشعلت سيجارة ، وأنا أنهض من خلف مكتبي ، والسيجارة الأولي مشتعلة علي المكتب ..
تطلعتُ من نافذة المكتب إلي الليل ، الذي يغلف القرية في ، وحشة ، وسكون ، ورهبة و ..
جال بخاطري في تلك اللحظة ، أمور بسيطة تاهت في غمرة الأحداث ..
ملابس القتيل المبتلة ..
الجُرح الطولي برأس القتيل ..

بقعة الدماء الجافة علي ذراع القتيلة ، والتي تطابق نفس فصيلة دماء صلاح ابن الشيخ عواد ..
و" إبراهيم أبو حديد " الذي قتل زوجته بتهمة الخيانة ..
و... وما كانت تود " صابحة " شقيقة القتيل أن تقوله ، قبل أن يصرخ فيها الشيخ " عواد " ..
وألقيت بالسيجارة ، وأنا أهتف في أعماقي :
- نعم .. نعم إنها كذلك ..
ولكن يبقي شيء واحد ..
شيء لو تأكدت منه لزال الغموض ، وتوصلنا للحقيقة ..
ولم تمر لحظات ، حتي كنتُ أغادر مكتبي ، في طريقي لدار القتيل ، بعد أن أرسلتُ بمن يوقظ " فتحي" ، الذي استيقظ ، وهو في قمة الذهول .

٦

وفي الثانية بعد متصف الليل كنا هناك ..
عند دار القتيل و ....
– افتح هذا الباب الصغير يا شيخ " عواد " .
تطلع الرجل إليّ في ذهول ، وهو يردد :
- الباب الصغير !
دا بيطل ع الحوش يا بيه .
قلتُ له ، وأنا أتمني أن أجد ما أبحث عنه :
- أعلم يا شيخ " عواد " أعلم .. افتح الباب .
تعثر الرجل في خطواته ، وهو يتقدم في بطء ويضغط علي أحد أزرار الإنارة ، ويفتح الباب ..
عبرتُ الباب الصغير إلي الفناء الواسع ، الذي غمرته الأضواء ..
وراحت عيناي تجول داخل الحوش الواسع و ..
خفق قلبي في قوة ..
إنها موجودة ..
فها هي ثابتة في الأرض لا تخشي ظلمة الليل ..
الطلمبة ..
طلمبة المياه التي يستخدمها الفلاحون في جلب المياه من باطن الأرض ..

تطلعتُ إليها في سعادة كعاشق رأي محبوبته بعد طول انتظار ، ثم عبرتُ الباب الصغير مرة أخري إلي داخل الدار ، وقلتُ للشيخ " عواد " :
- ليه يا شيخ " عواد "؟
- ليه إيه يا بيه ؟ !
- ليه مقلتش الحقيقة ؟
- الحقيقة ! أنا معرفش يا بيه .. معرفش .
- متعرفش ايه يا شيخ " عواد " ؟
متعرفش إن ابنك " صلاح " كان علي علاقة بـ " عايدة " زوجة " إبراهيم أبو حديد " ؟
تطلع الرجل إليّ كالمسحور ، وقد شخصت عيناه إلي لا شيء ، وكأنها فقدت بريق الحياة .. ولم يتفوه بحرف ، فاستطردتُ في صرامة :
- اتكلم .. ابنك كان علي علاقة بعايدة ولا لأ ؟
انهار الرجل تماما ، وقد سقط جسده أرضا ، وراح يضرب رأسه بالحائط ، وهو يهتف بنفس متقطع :
- لا يا بيه ..
" صلاح " لا يمكن يعمل كده ..
" صلاح " دا كان الحلم ..
الحلم يا بيه ..
كان حلمي ، وحلم البلد كلها ..
كان ها يبقي دكتور ..
وها يبني مستشفي ..

ويعالج أهل البلد الغلابة ..
أيوي يا بيه ..
" صلاح " كان الحلم ..
الحلم اللي ضاع ...
ضاع يا بيه ..
وهي السبب ..
لكن ابني لأ ..
لأ يا بيه ..
مش ابني اللي حاول يعتدي عليها ..
ولا ..
ولا هو اللي حاول يخدرها ..
لكن ..
لكن إناء الماء الضخم وقع من علي راسها و ..
وفتح دماغه ..
وظل ينزف لحد ما مات ..
ورجعتُ من السوق ..
كانت واقعة جانبه مش دارية بنفسها ..
رحت أصرخ و أصرخ وأصرخ ..
وابني قاطع النفس ..
شافها " أبو حديد " و ..
وقتلها .
وراح يضرب رأسه مرة أخري بالحائط ، ثم يتدحرج بجسده علي الأرض ، وهو يصرخ وسط ذهول أهالي

obeikan.com

القرية ، الذين خرجوا من دورهم ، وتجمعوا حول دار القتيل ..
وفجأة ..
نهض الرجل من مكانه ، وانطلق في شوارع القرية كالمجنون ، وهو يصرخ :
- الحلم ضاع ..
ضاع يا أهل البلد .
تابعته في إشفاق ، وأنا أقول لـ " فتحي " :
- اجمع القوة يا " فتحي " .
ثم التفتُ إلي العمدة ، الذي ينظر إليّ بعينين لم يتخلصا بعد من أثر النوم :
- روّح استريح يا عمدة .
وغادرتُ المكان ..
وقد انتهت القضية ..
أغرب قضية ..
نعم ..
فهي القضية الوحيدة ..
التي راح ضحيتها ثلاثة أشخاص ..
وانتهت دون أن نضع الأغلال في يد الجاني ..
تلك القضية التي ..
ضاع فيها الـحُلم .

❊ ❊ ❊

ضيـاااااااع

" أنت يا .... واحد شاي ".

التفتُ لمصدر الصوت ولم أصدق عينيّ ..
رباه !!
هل هذا هو " حسن " ؟
نعم .. نعم إنه " حسن ".. فها هو وجهه المكتظ وشاربه الرفيع وشعره الخفيف ولكن ..
ألم يعرفني ؟ ألم يتذكرني ؟
إني لم أره منذ عشر سنوات ..
منذ أن تركتُ طريق الدراسة وبدأت طريق الكفاح ..
منذ أن حكمتُ علي نفسي بالموت ..

obeikan.com

ولم يكن بيدي ..
كان من أجلهم
أبي المريض ..
أخواتي الستة ..
الشقة المكونة من حجرة واحدة ..
وكل ذنبي أنني الكبير ..
نعم .. هذا كل ما جنته يداي ..
ولكن .. تُري أين هو الآن ؟
وفي أي مرحلة دراسية ؟
لا بد أنه علي وشك التخرج من الجامعة .
وضعت الشاي أمامه ..
لم تبدُ علي وجهه أي علامات علي أنه تعرفني ..
نظر إليّ نظرة بلا معني وقد وضع ساقا علي ساق وعيناه تتصفح كتابا بين يديه ..
نظرتُ إلي ذلك الكتاب الضخم الذي بين يديه ..
وكم تمنيتُ في تلك اللحظة أن أخطف ذلك الكتاب من بين يديه ..
كم تمنيتُ أن أغوص بين صفحاته ..
بين كلماته ..
بين حروفه .
اشتعلت أعماقي أكثر وأكثر وعقلي الباطن يصرخ في مرارة :
- لماذا .. لماذا حكم عليّ القدر بالموت ؟

obeikan.com

أما كان أولي بى أن أكون مكانه الآن ؟
رد عقلي الواعي في حدة :
- لا .. ليس القدر بل المجتمع وظروفه .
- المجتمع وظروفه ما هم إلا إحدي ألاعيب القدر.
- القدر؟ !
- نعم القدر ..
القدر الذي جعلني العائل الوحيد لأخواتي الستة..
القدر الذي جعلني الأمل الوحيد لهم في الخروج من ذلك الجُحر الذي يعيشون فيه ..
- لست وحدك الذي تعاني من ذلك .
- أعلم ذلك .. أعلم أنني لست وحدي
وهذه هي المصيبة ..
فأنا عنوان لجيل بأكمله ..
جيل سيظل أسيرا بين أسوار الجهل والتخلف ..
جيل سيظل طريحا للفراش بعد أن هزمته الأوبئة والأمراض ..
جيل لن يعرف طريقا للتعليم أو للحياة الحرة الكريمة .
- هو الذي تسبب في ذلك ولا بد وأن يتحمل نتيجة خطأه .
- لا .. لا ... هو ليس السبب ..
ما هو إلا ضحية من ضحايا المجتمع ..
ضحية غياب العقل السليم ..

ضحية غياب التخطيط البناء ..
ضحية غياب الضمير ..
نعم .. نعم هو ضحية .. ضحية ..
يا إلهي .. رأسي يكاد ينفجر ..
مــرة أخــري حملقــت فيــه بعينــيّ الغــائرتين ..
مرة أخري تمنيت أن انتزعه من مكانه وأقذف به بعيدا و .... أجلس مكانه.
فجأة ..
وجدته ينهض من مكانه وهو يستعد للانصراف ..
جالت عيناه في المكان وكأنه يبحث عن شيء ..
يا إلهي !!
إنه يقبل عليّ .. هتفتُ بأعماقي :
- لعله تذكرني أو تعرفني .
مسحت يدي في ملابسي استعدادا للأحضان والقبل..
اقترب مني ..
فردتُ ذراعيّ استعدادا لتطويقه بين أحضاني ..
تطلع إليَّ بذهول ومد يده إليَّ وهي قابضة علي ورقة مالية صغيرة ..
كانت الورقة المالية رابضة بين أصابعه - وقد حاول إخفائها عن الأعين - وكأنه واقف أمام سائل محتاج.
نظرتُ للورقة المالية ولم أحركُ ساكنا ..
انفلتت من عينيّ دمعة ساخنة غابت بين التجاعيد التي حفرتها قسوة الزمن علي وجهي ..

وفجأة ..
عدتُ لعالم الواقع ..
تذكرتُ أبي المريض ..
تذكرتُ أخواتي الستة ..
تذكرتُ أني أملهم الوحيد في الحياة ..
حياة الموتي ..
و ....
مددتُ يدي وتناولتُ الورقة المالية منه ..
بكل هدوء يتناول نظارته ويضعها فوق جبهته ..
وأخـذ كتابــه وراح يغـادر المكــان بخطـوات واثقــة متزنة ..
ظلت عيناي تتابعه وهو يبتعد ويبتعد ..
و ..

- واحد شاي يا بني .
- شاي ؟ !
- نعم شاي ! إنت مش قهوجي ؟
- أنا !!

نعم قهوجي ..
قهوجي يا بيه !!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

عُد بعصاك العوجاء

دون أن أدري ليلا ، وأنا أتنزه في شوارع القاهرة ، ساقتني قدماي إلي شارع فؤاد ..
وقد يرجع ذلك لأضوائه المبهرة ، أو إلي محلاته الفخمة ، أو إلي ازدحامه بكل نوعيات البشر من رجال ، ونساء ، وفتيات ، وشباب ، وأطفال ..
وفجأة – وفيما أنا غارق في تأملاتي – انتابت ذلك الشارع حالة من الجنون ، وأخذ الكل يدفع بعضه بعضا ، محاولا أن يسلك طريقه إلي نقطة بعينها في الأمام .. وصاحب ذلك الاندفاع صيحات إعجاب ، تخرج من أفواه بعض الشباب ...
اندفعت معهم ، أو دُفعت ، ووقفتُ مكاني ذاهلا بلا حراك ..

obeikan.com

و ...
- رباه !! ما هذا ؟ وماذا أري ؟
فتاة تعدي عمرها العشرين بعام أو عامين ، كانت ترتدي .. أقصد لا ترتدي ..
المهم أنها كانت تخفي من جسدها ما لا يحتاج لإخفاء!
وللحظات تركزت عيناي علي الفتاة ، وعلي الرجل الأشيب الفودين – وقد رجحتُ أنه والدها – وهو يقبض علي أصابعها في رفق ، ويسير معها الهوينى غير عابئ بالنظرات ، أو صيحات الإعجاب ..
مرة أخري تطلعت إليهما ، وامتلأ قلبي حسرة ..
وأنا أعود بذاكرتي إلي الوراء ..
إلي زمان غير الزمان ..
ومكان غير المكان ..
وأمام عيني تراقصت صورة جدي ، بظهره المقوس ، وعينيه الغائرتين ، وشعره الذي تساقط عن آخره ..
تذكرت صورته تلك ، حين كان يرفع عصاه العوجاء ، التي يتكئ عليها ، في وجه الجميع مطالبا إياهم بالتزام الأدب والاحتشام ..
وتذكرت أثر تلك العصا ، حين كان يخر أمامها الجميع بالصمت ، دون أن يجرؤ أحدهم علي أن يعترض أو أن يرفع عينيه .
و .... أفقت من شرودي ، علي نغمات الإعجاب ، التي تزايدت وقد صاحبها بعض العبارات البذيئة ، التي

نخجـــل نحـــن الرجـــال عـــن النطـــق بهـــا ..
وهنا .. وفي تلك اللحظة ..
صرختُ في أعمق أعماقي :
- أين أنتَ يا جدي ؟
أين أنتَ بقيمك ومثلك ومبادئك ؟
أين أنتَ بتقاليدك وعاداتك ؟
أرجوك ..
أرجوك يا جدي ..
لا بد أن تعود ..
نعم ..
عُد يا جدي ..
عُد بعصاك العوجاء .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

علي هامش الحياة

- يا " هاشم " .... يا " هاشم " .

ألقي " هاشم " الفأس من يده ومسح بكم قميصه عرقه الغزير وتطلع لصاحب الصوت وقال :

- إيه يا " رشاد "... فيه إيه ؟
- الحق يا " هاشم " .. " راوية " بتولد .

فكّ " هاشم " جلبابه من حول وسطه ورمي فأسه وانطلق صوب داره وهو يقول :

- بتولد !!

حق يا " رشاد "..

طب الداية ... الداية جت ولا لسه ؟

- أختك " فاطمة " راحت تنادي خالتك " بركة " الداية .

obeikan.com

يردد " هاشم " بنفس متقطع وهو يجري صوب داره
- يا رب استر ..
استر يا رب .
ساعة كاملة و" هاشم " أمام الدار ..
ساعة كاملة والقلق يكاد يعصف به وصوته يخرج من بين ضلوعه هاتفا :
- يا رب ولد ..
ولد يا رب ..
نفسي في ولد ..
كفاية بنتين يا رب ..
يا رب استر ..
استر يا .....
- " افرح يا " هاشم " ... جالك ولد " .
هكذا هتفت " بركة " الداية ، و" هاشم " يتطلع إليها في ذهول غير مصدق ما سمعته أذنه
- حق يا خالة " بركة "..
حق جالي ولد ؟ !
دا لو حق الكلام ده ليكي عندي حلاوة كبيرة أوي .
ردت الداية العجوز وهي تدخل للدار مرة أخري:
- والله ولد يا " هاشم " .... ولد .
وقع " هاشم "علي الأرض ..

انهمرت دموعه .
أخذ يردد بنفس متقطع :
- أحمدك يا رب ..
أخيرا جه الولد
الولد اللي ها يحمل اسمي ..
الولد اللي هاعتمد عليه ...وصرخ في " رشاد ":
- الولد يا " رشاد " ... الولد .
ردّ عليه " رشاد" – زوج أخته " فاطمة " – وقال :
- احمد ربنا يا " هاشم "... وقوم شوف " راوية ".
- " راوية " ؟!
نعم لقد أنساه الولد كل شيء ..
حتي زوجته ..
هرع إلي داخل الدار ، دفع باب حجرة بجوار السلم ، ونظر إلي زوجته التي ترقد في إعياء وقال من بين دموعه التي تنهمر بغزارة :
- ولد يا " راوية " ... ولد .
ابتسمت " راوية " في ضعف وقالت :
- ولد يا " هاشم " .... ولد .
- حمد الله علي سلامتك يا " راوية " .
- الله يسلمك ...
مبروك يا أبو الولد .
هبّ " هاشم " من مكانه ..

نادي بأعلي صوته :

- يا " فاطمة "... يا " رشاد " .. فرقوا الشربات .. اسقوا كل الناس ..

دا أنا جالي الولد .. جالي " وحيد ".. وحيدي في دنيتي .

كانت فرحة " هاشم " بالولد لا توصف ...

دبح العجل اللي عنده ...

عمل ليلة لأهل الله ...

و .....

- الواد ما بيكلمشي ليه يا " راوية " ؟!
- يوه !! لسه صغير يا " هاشم " !!
- صغير !! الواد دخل في أربع سنين !!
- يوه .. جري إيه يا " هاشم " هو أنا كنت دكتور؟!
- دا صحيح .. الواد لازم نوديه لأكبر دكاترة في البندر .

ومن الفجر كان " هاشم " في البندر ، " وراوية " شايلة الواد بين دراعتها

و .....

- الحقني يا " رشاد "..... الحقني .
- فيه إيه يا " هاشم " ؟ وعملت إيه في البندر ؟ وإيه أخبار الواد ؟
- ابني أخرس يا " رشاد " ...

الواد طلع أخرس ..
الواد اللي استنيته طول عمري أخرس ...
أخرس يا " رشاد " .
صرخات " هاشم " تتردد في جنبات القرية ..
وقع علي الأرض ..
أهال التراب علي وجهه ..
تجمع أهالي القرية من حوله ...
بكل ألم هتف " رشاد " :

- وحِّد الله يا " هاشم " ... وقدر أخف من قدر .

وهتفت " بركة " الداية ويدها علي صدرها :

- يا عيني دا مستنيه طول عمره .

وقال الشيخ " عبد الراضي " خطيب الجامع وهو يمد يده لهاشم :

- " وله في ذلك حكم " ، " " عسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم " .

اسودّت الدنيا في عينيّ " هاشم " وقد ضاع الأمل الذي انتظره طيلة حياته ..
أصبح مثالا لليأس ..
كره الدنيا ..
كره الحياة .. وكل شيء ..
مرت الأيام والسنون ، وشبّ " وحيد " سبحان الله ...
كان آية في الروعة والجمال ولكن لم يعبأ به أحد ...

لم يهتم به أي شخص ..
حتي أبوه " هاشم " ..
كانت تمر الأيام لا يسأل عنه ..
لا يراه ..
لم يسأله يوما أين كان ....
ولا أين ذهب ..
لم يطلب منه يوما عملا يقوم به ..
هكذا عاش " وحيد ".....
عاش وحيدا ..
لم يعرف أحد ..
ولم يعرفه أحد ..
وهناك ..
عند الساقية المهجورة الرابضة عند أطراف القرية – حيث اعتاد أن يخلو بنفسه - جلس ..
واتخذ من جذع الشجرة مسندا له ..
وترك لذاكرته العنان ...
تذكر يوم غلبه النوم في هذا المكان ولم ينم في فراشه طوال الليل ...
تذكر كيف نسيه الجميع ولم يدروا بغيابه ...
نعم الجميع ..
أبوه ..
أمه ...
الكل نسيه ..

obeikan.com

وتساءل " وحيد " في أعماقه :
- تري .. هل سيهتم به أحد لو مات ؟!
هل سيُهال التراب ..
وتُضرب الخدود ..
وتُشق الجيوب ..
إنه يشعر وكأنه لا يعيش في الحياة ..
باختصار ...
كـــان يشـــعر وكأنـــه يعـــيش علـــي الهـــامش ..
علي هامش الحياة !!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الشعرة البيضاء

في ذلك الكازينو علي ضفاف النيل جلست فتاة يقترب عمرها من العقد الثالث ، بيضاء ، ذات جمال مبهر ، وعيون عسلية ، وشعر أسود فاحم يتطاير علي وجهها في نعومة كشلال من الحرير ..
وعلي الرغم من أن كل شيء بالفتاة كان ينطق بالجمال إلا أن عينيها كانتا تدوران مع مياه النهر في قلق وتوتر ..
كان بداخل حلقها غصة ..
نعم .. غصة مريرة تعتصرها وتسيطر علي كيانها .. وتساءلت في أعماقها وأصابعها تتخلل شعرها الذي يتطاير في نعومة :
- ما سبب هذا الحزن الذي تمتلئ به نفسها ؟
وما سبب هذا القلق المحفور علي ملامحها ؟

obeikan.com

إن فتاة جميلة مثلها ظلت محتكرة مركز ملكة جمال الجامعة طوال سنوات الدراسة يجب ألا تشعر بالقلق مطلقا ..
إنها دائما مرغوبة ..
وهذا أهم ما يشغل بال الفتاة ..
إذا ما سبب هذا الحزن ؟
ظلت تتساءل وتتساءل ..
واعتصرت ذهنها ..
وعرفت السبب ..
كان ذلك في الصباح ..
حين كانت تقف أمام المرآة لتضح لمسات سحرية تزيدها فتنة وجمالا و ...
كانت الصدمة ..
شعرة بيضاء تسللت وسط شعرها الأسود ..
وانتفض قلبها في لوعة ..
كإنسان وجد نفسه فجأة أمام ملك الموت وبدون سابق إنذار ..
وارتمت فوق سريرها .. وبكت ..
نعم ..
بكت كما لم تبكِ من قبل ..
لقد اقتربت من سنوات الخطر ..
وبدأ الشعر الأبيض يتسلل إلي شعرها ..
لقد خانها الزمن ..

obeikan.com

وأخذتها دوامة الحياة ..
و ... تذكرت " كمال " ..
ذلك الشاب الذي أحبها وأحبته ..
ذلك الشاب الذي اخترته من بين كل شباب الجامعة ..
ذلك الشاب الذي يعمل ليلا ونهارا من أجل أن يتحقق حلمهما منذ أكثر من سبع سنوات ..
ولم يعد بيده شيئا يفعله ..
تركت دمعة ساخنة تسيل علي خدها وهتفت في مرارة :
- لا بد من حل .. لا بد .
ورفعت سماعة الهاتف وطلبت مقابلة كمال ، ثم اندفعت كالعاصفة من حجرتها صارخة :
- أبي ... أمي ..
تطلع إليها أبويها في قلق وجزع وهي تهتف في ألم :
- أبي .. إنني أوافق علي الزواج من " صلاح " .
تطلع الأب في هلع لابنته في صمت وأحس بما تعانيه في حين هتفت الأم :
- صلاح !
لقد رفضتيه أكثر من مرة لأنه جاهل وغير متعلم و ....
انفطر قلب الأب من أجل ابنته وهي تصرخ :
- لا يا أمي ..
صلاح هو الشقة ..
العربية ..
الرصيد في البنك و ...

انفجرت في نوبة شديدة من البكاء وجسدها ينتفض في شدة ..
احتوي الأب ابنته بين ذراعيه وربت علي كتفها وقال في جزع :
- أخبريني يا بنيتي .. ماذا حدث ؟
لم ترد ابنته وإنما انتزعت من بين خصلات شعرها الشعرة البيضاء وفردتها أمام عيونهما.. وسقط قلب الأب بين قدميه ولم يعد يدري ماذا يقول أو ماذا يفعل ..
أما الأم فقد كانت أكثر إدراكا للمشكلة لأنها امرأة ..
وبكت من أجل ابنتها في صمت ..
وكان لها ما أرادت ، وتفهم كمال موقفها ، وتركها متمنيا لها السعادة ، وتم عقد قرانها علي صلاح ...
وهناك ..
داخل حجرتيهما بتلك الشقة المطلة علي النيل ..
تركت جسدها لصلاح يعبث به كما يشاء ، وهي تفكر في سيارتها الجديدة ورصيدها في البنك ..
وكلما جلست مع نفسها تفكر في حياتها ..
كانت تظهر علي شفتيها ابتسامة مريرة غير مصدقة أن كل هذا الانقلاب الذي حدث بحياتها كان بسبب شعرة ..
نعم ..
شعرة بيضاء!!

❊ ❊ ❊

لا تقل وداعا

أخذ " وحيد شاكر" الثري المعروف ، يقطع درجات السلم في سرعة ، تاركا ذلك المكان الموبوء ، وأنفاسه تتلاحق في سرعة ، وقد تهدل رباط عنقه ، وراح يصرخ في أعماقه ، وهو يركب سيارته :

- إذا فهذه هي الليالي الحمراء ..

الليالي التي تجمع شيطانين في مكان مغلق مصحوبين بلعنات الله وملائكته ..

وراح يستطرد في أعماقه بثورة :

- هل أنا بهذا قادر ؟ !

هل بذلك تخلصت من عجزي ؟

هل .. هل ..

ظل يصرخ ، ويصرخ ، والسيارة تسير علي غير هدي..

obeikan.com

وفي الرابعة فجرا كان هناك ..
عند سفح الهرم ..
وقريبا من تلك المنطقة التي تضم تمثال " أبي الهول "..
وراح يتطلع للتمثال ، وهو يهتف بكل ألم تئن به جوارحه :
- تكلم ..
تكلم يا أبا الهول ..
إلي متي تظل صامتا ؟
هل انحفر الصمت علي قسمات وجهك ؟
أريد أن أري نصاعة أسنانك ..
أريد أن أري لسانك يتلوك في فمك ...
تكلم ..
أين القيم ؟
أين المبادئ ؟
ألست رمزا لحضارة سبعة آلاف عام ؟ !
تكلم ...
تكلم .
وخرّ جسده بجوار إحدي الصخور وراح يردد في ألم وسط دموعه المنهمرة في غزارة :
- تكلم ..
ألن تتكلم ؟
إذا فوداعا ..
نعم .. وداعا للقيم ..

وداعا للمبادئ ..
وداعـــ .....
وفجأة ..
أحس بيد تربت علي كتفه ، مع صوت قوي عميق، كأنـه يخرج من أعمق أعماق الأرض ، يقول :
- لا ..
لا يا فتي ..
القيم ستظل موجودة ما دامت الحياة .
وبكل ذهول رفع عينيه ، و .. رآه ..
رأي شيخا ، ذا وجـه صبوح ، ولحيـة بيضـاء ، يرتـدي جلبابا أبيض ..
ظل يتطلع إليه في ذهول ، والشيخ يتابع :
- نعم يا فتي .. القيم موجودة وستظل موجودة .
رد " وحيد " بصوت مشبع بالحسرة :
- قيم ! .. أي قيم ؟
لقد ودعتها منذ أن عرفت طعم الليالي الحمراء .
ابتسم الشيخ ، وقال :
- ورغم ذلك ستظل موجودة يا فتي .
هاج " وحيد شاكر " ..
انفعل بشدة ..
صرخ :
- كيف ؟
كيف وقد أصبح التمسك بالمبادئ عجز؟

كيف وقد أصبح التحلي بالقيم والأخلاق عجز ؟
إذا .. إذا فما أسهل أن يكون الإنسان قادرا و ...
قاطعه الشيخ في صوت هادئ وقور وعميق :
- الـــدنيا مـــزاج بـــين هـــذا وذاك يـــا فتـــي ..
لا بـــد مـــن الخيـــر والشـــر كـــي تســـتمر الحيـــاة ..
ولا بد من الأسود كي نعرف الأبيض .
لـــــوّح " وحيـــــد " بذراعيـــــه صـــــارخا :
- شعارات ..
كلها شعارات ..
عبارات منمقة لا تفيد ..
ولكنني سئمت كل شيء ..
كرهت الدنيا ..
كرهت الحياة ..
سأودع القيم والمبادئ ..
سأكون من أنصار اللا مبادئ ....
اللا أخلاقيات .
ودفن رأسه بين ذراعيه ، وهو ما زال يردد :
- وداعا للقيم ..
وداعا للـ ...
قاطعه الشيخ بصوت أكثر عمقا :
- لا تقل وداعا يا فتي ..
لا تقل وداعا .
وانقطع صوت الشيخ فرفع وحيد عينيه و ...

كانت المفاجأة ..
لقد اختفي الشيخ ..
نعم .. لا يوجد له أدني أثر ..
اختفي وكأنه تبخر في الهواء ..
أخذ " وحيد " يتلفت حوله ، وقد هدأت نفسه قليلا ..
وحانت منه التفاتة إلي تمثال " أبي الهول " ..
وخُيِّـل إليــه أنــه لمـح شـبح ابتسـامة علـي وجـه "أبـي الهول"..
فابتسم وحيد وقد أشرق وجهه ..
وكانت كلمات الشيخ ما زالت تتردد في أذنه ..
تدوي في أعماقه ..
" لا تقل وداعا " .

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الوجه الآخر

وأنا أقطع تلك الردهة الطويلة ، داخل مبني كلية الآداب ، بحرم جامعة القاهرة ، في طريقي لقاعة المحاضرات ، حيث أعمل أستاذا بالكلية ، كانت أصوات الطلبة تصل إلي مسامعي ، وبعضهم يتباهي في فخر ، وزهو بمغامراتهم العاطفية المتعددة ، وكأنهم اكتشفوا الدواء لطاعون العصر ..
والطالبات بعضهن يستمع للحديث في إعجاب، وبعضهن يتصنع الحياء ، ولكن عيونهن تكشف عما تخفي من لهفة للاستماع لتلك الأمور ..
وحين دخلت القاعة ، غرقت في صمت عميق .. وفي مكاني علي منصة المحاضرات ، جلست ..
ورحت أتطلع لعيونهم في صمت ، وأنا أتساءل بداخلي:

obeikan.com

- هل من الممكن أن تكون عقول كل هؤلاء بهذا الخواء؟!
أليس هؤلاء علماء الغد ، وقادة المستقبل؟!
ألن يأتي عليهم وقت يتسلمون فيه راية القيادة؟
انطلقت من حلقي تنهيدة قوية ، ثم شرعت في بدء المحاضرة ..
ولم تمض دقائق خمس ، حتي سمعت طرقات علي الباب و..
دخلت هي ..
فقد كانت منتقبة ، ترتدي ثوبا طويلا ، يغطي جسدها كله .. ولم أر منها سوى عينيها ..
نعم .. عينيها فقط ..
حتي صوتها لم أسمعه ..
والتقت عينانا .. وللحظة سرت بين أوصالي رجفة ، لم أدرِ سببها ..
وأَشرت لها بالدخول .. كالعادة ..
نعم .. فقد كانت هذه عادتها معي ..
دائما تأتي متأخرة – ودون أن أشعر – أسمح لها بالدخول ..
ولا أدري ما السبب ..
حقيقة لا أدري .
- " أين ستقضي سهرتك الليلة ؟ "

هكذا سألنى صديقي الأستاذ الجامعي ، فنظرتُ إليه مبتسما ، ولم أرد ، فضحك قائلا :
- كالعادة سوف تلقي بنفسك وسط كم من الأبحاث ، والدراسات العلمية .
- إنه عملي كأستاذ جامعي .
- لا .. يا صديقي لا ..
أريدك أن تري الوجه الآخر للحياة ..
الوجه الخلفي الذي يراه الجميع إلا أنت .
وهناك ..
عند باب ذلك الملهي الليلي ، توقفت ذاهلا ، وصديقي يجذبني للداخل ، وجلسنا معا ، علي مائدة في المقدمة ..
أزحتُ الكأس الذي قدمه لي صديقي جانبا ، فجرعه هو ، وقال ضاحكا :
- الآن ستري الوجه الآخر للحياة .
وفجأة .. علا الصياح ، وارتفع الهتاف ، مع ظهور الراقصة ، التي قابلها الجميع بالتصفيق ، والتهليل ..
وبدأت تتمايل ، وتتمايل ..
والكل يتمايل معها ..
لكزني صديقي بكوعه هاتفا :
- لا تخجل يا صديقي وانظر ..
انظر للوجه الآخر للحياة .
و... نظرتُ .
وتلاقت عينانا و ....

- رباه ..
هاتان العينان ..
إنهما نفس العينين ..
نفس الجسد ..
ونظرتُ إليها ..
ونظرت إليَّ .. والعجيب أنني لم أشعر بتلك الرجفة ، التي تنتابني كلما رأيتها ..
بل شعرت بالقوة ..
القوة المطلقة .
وهناك ..
في قاعة المحاضرات .. أصوات الطلبة ترتفع بالكلام الهزلي ..
الطالبات يستمعن للحديث بشغف ..
أدخل أنا ..
تغرق القاعة في صمت عميق .. تمر الدقائق الخمس ..
طرقات علي الباب .. تدخل هي ..
لم أنظر إليها ..
ظلت مكانها للحظات تنتظر الإذن بالدخول بلا جدوى
ثم...
دخلت!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

فتاة القطار

اكتظ رصيف المحطة بالمسافرين ، وقد أخذت عيناي تتجول في ملامحهم ، وكأنها كاميرا سريعة فوجدت هذا يحدث هذا ، وتلك تهمس في أذن جارتها ، وهذا يدخن سيجارة ، وآخر يطلق سبابا فجا ، وهذا شاب عابث يغازل فتاة تمر من أمامه وهي تتصنع الحياء ، وعجوز متصابي يبلع ريقه مع كل امرأة جميلة تمر من أمامه ، ويظل يتابع جسدها حتي يختفي من أمامه ، ثم يبحث عن غيرها ، ارتفعت أصوات الباعة الجائلين علي المحطة وكأنّ كل منهم يريد أن يجعل صوته الأكثر ظهورا و .....

obeikan.com

جاء القطار ومعه انتشر الهرج والمرج علي رصيف المحطة ما بين راكب ونازل من القطار والكل يبحث عن مقعد يجلس عليه ..
اتخذت مقعدا لنفسي بجوار الباب ...
القطار يبدأ في التحرك ببطء كعجوز بلغ من العمر أرذله يتكئ علي عصا غليظة في شارع ملئ بالحصى و ...
ـ أهلا " ماهر " تعال .
إنه صديقي بالجامعة كان يبحث عني ، أجلسته مكاني ووقفت بجوار الباب ..
القطار ما زال يتحرك ببطء ..
و ..... كانت تلك الصرخة ..
فتاة تحاول ركوب القطار وهو يتحرك وكادت تهوي تحت عجلاته ..
تحركت يدي بحركة لا إرادية وقبضت علي كف الفتاة وجذبتها لداخل القطار ...
وفي تلك اللحظة انفكت عقدة لسان رجل علي مشارف الخمسينات وراح يبكي وهو يضم ابنته لصدره ويردد :
ـ " ابنتي وفاء ... أنت بخير ".
ولكن الفتاة نظرت إليَّ ..
إلي منقذها ..
ثم انخرطت في بكاء حار ..
وحاول الجميع تهدئتها إلا أنا ..

لم أدر ماذا أقول لها ...
هل أواسيها ؟
أم أهنئ نفسي ؟
نعم أهنئها وقد التقطت أصابعي ملاكا يندر أن تجد مثله هذه الأيام ..
كانت ملاكا بكل ما تحويه الكلمة من معان ..
الوجه الأبيض الجميل ..
العينان الواسعتان ..
الشفتان الرقيقتان ..
الفم الدقيق ..
استيقظت مما أنا فيه علي أصوات الناس :
ـ احمدي ربنا يا بنتي .. قدر ولطف .
ـ يا عيني البنت لونها اصفر ازاي .
ـ أنت احمدي ربنا .. أنا واحد صاحبي مات امبارح .
ما أن التقطت أذناي هذا القول الأخير حتي مددتُ يدي والتقطتُ أطراف أناملها الباردة وأجلستها في مكاني وقد قام " ماهر " زميلي ، والدها يشق طريقه ويقف بجوارها وهو يشكرني وأنا أرد عليه بهمهمات لا معني لها وعيناي معلقة بذلك الكائن الملائكي الرقيق ..
تـوردت وجنتاها كثمرة ناضجة وقد أحست بنظراتي إليها ...
أشعر وكأني أعرفها أو كأني رأيتها من قبل ، أهتف بصوت لم يتعد حلقي :

ـ أشعر وكأني أعرفك .. هل التقينا من قبل ؟
جاوبتني بابتسامة عابثة ماكرة وكأنها سمعت السؤال الذي لم يتعد حلقي
رباه !!
إنها المرة الوحيدة التي كان القطار يسير فيها بهذه السرعة ...
كان ينهب الأرض نهبا ..
و ... إذا بها تهتف بصوتها الملائكي قائلة لأبيها :
ـ لقد وصلنا .
نظرت إليَّ ..
عيناها ما زالت تبتسم ..
انخلع قلبي مع كل حرف نطقت به وهي تقول لي :
ـ شكرا .
وكالعادة .. نظرتُ إليها ولم أنطق ..
عيناي معلقة بعينيها الواسعتين ..
كدت أتشبثُ بها وأهتفُ :
ـ انتظري .
ولكنني تراجعتُ لعقلي ، ووقفتُ في مكاني بجوار النافذة وكأنني مكبل بالأغلال ..
وقف القطار ..
نزلت ..
مرت من جوار النافذة ..
الابتسامة ما زالت مرسومة في عينيها ..

أخذت أتابعها مع والدها وهما يتجهان لإحدى العربات ذات الجياد ..
وما أن استقرا فوق العربة حتي أطلق الجواد صهيلا قويا وهو يرفع قائميه الأماميين في سعادة وراح يبتعد بحمله الغالي فكان وقع حوافره علي الأرض كمطرقة من الصلب تدق قلبي ..
القطار ما زال واقفا ..
العربة تبتعد وتبتعد ..
ومن جانب العربة أطلت الفتاة برأسها ....
التقت عينانا في نظرة أخيرة ...
وبحركة خفية من أصابعها لوحت لي ..
ولكن ...
يا إلهي ...
لقد فقدت عيناها ابتسامتها !!

❊ ❊ ❊

الخطأ

علي الرغم من أن منصبه كان يتيح له إصدار الأوامر، وإرسال الحملات ، إلا أنه كان وما زال مصرا علي الاشتراك في كل حملة ، تخرج من مديرية الأمن؛ للقضاء علي وكر جديد من أوكار الشياطين ..
تلك الأوكار التي اتخذت من بيع الشرف ، والعرض مهنة يتربحون منها ..
اعتدل ذلك الرجل في المقعد الخلفي للسيارة ، وسأل الضابط ، الذي يجلس بجوار سائق العربة :
- كم تبقي من الوقت ؟
اعتدل الضابط ، وهو يجيب بسرعة :
- خمس دقائق علي الأكثر يا سيادة اللواء .

obeikan.com

تراجع الرجل بظهره إلي الوراء ، بجسده الممتلىء، ووجهه المكتظ ، وراحت أصابعه تعبث بشاربه الرفيع، وهو يتعجل تلك اللحظة ، التي يقضي فيها علي إحدي بؤر الفساد ، التي تفسد شبابنا ، وتسيء لوطننا ..
لقد أقسم بينه وبين نفسه ، منذ أكثر من ربع قرن مضي، أن ينظف بلاده من تلك العناصر ..
وكثيرا مما تسبب في إسقاط الكثير منها ..
لدرجة أن اسمه أصبح محفورا في أذهان كل أصحاب تلك المهنة الموبوءة ..
اللواء " نبيل الشافعي " ..
ذلك الرجل الذي يعمل له الجميع ألف ألف حساب و ....
- وصلنا يا سيادة اللواء .
قطع حبل أفكاره صوت ضابط الشرطة ، فاعتدل في مقعده ، وهو يتطلع إلي الدور الحادي عشر من تلك البناية الشاهقة ، في ذلك الحي الراقي .. حي المهندسين.
ترجل اللواء " نبيل "من سيارته ، وراح يوزع رجاله حول البناية ، ثم اصطحب خمسة منهم ، وصعد إلي الشقة المنشودة ، التي ظهر علي عتبتها رجل عجوز ، تبدو علي ملامحه علامات الخبث ، والدهاء ..
أزاحه اللواء " نبيل الشافعي " جانبا ، ثم دخل هو ورجاله ، وأشار إلي إحدي الغرف المغلقة ، وأمر رجاله باقتحامها و....

كانت المفاجأة ..
الحجرة مكتظة عن آخرها برجال ، ونساء ، وأجساد عارية .. بريق جنوني عجيب ، يلمع في عيني اللواء " نبيل " ، وهو يتطلع لأجسادهم العارية ، وراحت صفعاته تتوالي علي وجوههم جميعا رجالا ، ونساءً ، وهم يرتعدون أمامه ، وسط ذهول رجاله ، وهو يصرخ:
- خونة .. أندال ... خونة و ...
إلي أن كانت تلك الصفعة ، التي كاد معها قلب اللواء "نبيل" يتوقف عن النبض ، وهو يتطلع إلي تلك المرأة، التي جحظت عيناها في جنون ، وهي تتطلع إليه ، وتحاول أن تجذب أي شيء ، تستر به جسدها العاري .. من بين شفتيه خرج صوته غاضبا ، صارما ، مذهولا، في آن واحد ، وهو يردد :
- أنتِ ؟ !
رباه .. إنها " نوال ".. زوجته !!
العيون تتطلع إلي اللواء " نبيل " في فضول ، وبها ألف تساؤل وتساؤل ..
بصوت يفوق الرعد قوة ، هتف :
- خذ الجميع بالخارج يا حضرة الضابط ، واترك هذه المرأة ؛ سنستجوب كل علي حدة .
- سيتم الاستجواب هنا يا سيادة اللواء؟!
- نفذ الأمر يا حضرة الضابط .

خرج الجميع ، ثم أغلق اللواء الباب جيدا ، واتجه إلي زوجته وهوي علي وجهها بصفعة قوية ارتج لها كيانها و، هو يصرخ :
- لماذا ؟ !
وراحت صفعاته تنهال ، وتنهال وهو يردد نفس الكلمة :
- لماذا ؟ .. لماذا ؟ ..
وإذا بزوجته ، تتطلع إليه بعينين صارمتين لا تشعران بأي ذنب ، وصرخت في جنون :
- لماذا ماذا ؟
وماذا تتوقع مني يا سيادة اللواء ، بعد أن أهملتني، ووهبت نفسك للشرطة ..
نعم أهملت كل شيء ..
نفسك وبيتك وأولادك و.... أنا ..
أنا يا سيادة اللواء ..
الشرطة أنستك زوجتك ..
أنستك أن لها حقوقا عليك .
راح يتطلع إليها في جنون غير مصدق ما تسمعه أذناه، في حين أمسكت هي بملابسه ، وراحت تهزه بعنف، وهي تصرخ :
- الشرطة أنستك زوجتك يا " نبيل " ..
زوجتك .
اللواء يتطلع إليها مبهوتا بعينين جاحظتين ، وقد عقدت الدهشة لسانه ..

لقد تنبه الآن ..
والآن فقط .. أن حبه لعمله وللشرطة أنساه كل شيء ..
نعم .. أنساه أعز ما يجب علي المرء أن يتذكره ..
الزوجة .. شريكة الحياة ..
الجانب المشرق .. بلسم الحياة ..
و... وهذا يعني أنه وقع في الخطأ ..
الخطأ القاتل .
هكذا حدثه عقله الباطن ، ولكن عقله الواعي صرخ في حدة : - ولكن هذا ليس مبررا ..
ما فعلته يجب أن يُشعرها بالفخر .
ثم صرخ بصوت مسموع ، وكفه تهوي بصفعة أخري علي وجهها :
- هل تسمعين .. الفخر .
ثم استل مسدسه من بين طيات ثيابه ، وقال لها ، وفي عينيه بريق جنوني عجيب :
- اقتربي .
اقتربت منه قائلة من بين دموعها ، وهي ترفع ملابسها من الأرض :
- اقتلني يا " نبيل " .. اقتلني هذا ما أتمناه .
ولكنه انتزع منها ملابسها في قوة ، وأخذ منها كل ما يثبت شخصيتها ، ثم فتح الباب وهو يصرخ في الضابط قائلا :
- ادخل كل الخونة واخرج .

أطاعه الضابط في ذهول ، وأدخل الجميع ثم خرج ، وأغلق الباب ، في حين تطلع إليهم اللواء " نبيل الشافعي "، وهم يرتعدون أمامه و ...
فجأة ..
فتح اللواء " نبيل الشافعي " نيران مسدسه عليهم جميعا ، وأصابت رصاصاته أول ما أصابت زوجته ..
" نوال " ..
تطلع إلي الحجرة ، التي غرقت في بحيرة من الدماء ثم بكي ..
نعم ..
بكي اللواء " نبيل الشافعي "، وهو يتطلع لجسد زوجته الذي فارقته الروح ، ثم اتجه نحو النافذة و ..
قفز منها ..
قفز من الدور الحادي عشر ..
وسقط وسط الطريق ..
جثة هامدة ..
وأصبحت تلك الحادثة حديث مصر كلها ..
ولكن أحدا منهم لم يعرف أن كل ما حدث للواء " نبيل الشافعي " ..
كان بسبب ما وقع فيه من الـ ..
الخطأ !!

❊ ❊ ❊

obeikan.com

للتواصل مع الكاتب

Magdy Mahrouse

mohamedmagde.mm93@gmail.com

obeikan.com

الفهرس

إهداء ٥
دماء الموتي ٧
الفقراء لا يعبرون الطريق ١٢
كى يكون ذئبا ١٥
أحلام الفجر الكاذب ٢٠
وفاء على مقبرة الموت ٢٣
امرأة ليست للبيع ٣٤
وضاع الحلم ٤٢
ضيااااااع ٥٧
عد بعصاك العوجاء ٦٢
على هامش الحياة ٦٥
الشعرة البيضاء ٧٢
لا تقل وداعا ٧٦
الوجه الآخر ٨١
فتاة القطار ٨٥
الخطأ ٩٠

obeikan.com